

## تفسير ابن كثير

ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا <sup>ج</sup> يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ  
أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ <sup>ق</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مذلة ، أي : سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها ، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة ، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل ، فتبني الشمع من أجنتها ، وتقيء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ، ثم تصبح إلى مراعيها . وقال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ( فاسلكي سبل ربك ذللا ) أي : مطيعة . فجعله حالا من السالكة . قال ابن زيد : وهو كقول الله تعالى : ( وذللناها لهم فمناها ركوبهم ومنها يأكلون ) [ يس : 72 ] قال : ألا ترى أنهم ينقلون النحل من بيوته من بلد إلى بلد وهو يصحبهم . والقول الأول أظهر ، وهو أنه حال من الطريق ، أي : فاسلكيها مذلة لك ، نص عليه مجاهد . وقال ابن جرير : كلا القولين صحيح . وقد قال أبو يعلى الموصلي :

حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - : " عمر الذباب أربعون يوماً ، والذباب كله في النار إلا النحل "

وقوله تعالى ( يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ) أي : ما بين أبيض وأصفر وأحمر

وغير ذلك من الألوان الحسنة ، على اختلاف مراعيها ومأكلاها منها . وقوله : ( فيه شفاء

للناس ) أي : في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم . قال بعض من تكلم على الطب

النبي : لو قال فيه : " الشفاء للناس " لكان دواء لكل داء ، ولكن قال ( فيه شفاء للناس

( أي : يصلح لكل أحد من أدواء باردة ، فإنه حار ، والشئ يداوى بضده . وقال مجاهد

بن جبر في قوله : ( فيه شفاء للناس ) يعني : القرآن . وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن

ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية ؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد

على قوله هاهنا ، وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى : ( ونزل من القرآن ما هو شفاء

ورحمة للمؤمنين ) الآية [ الإسراء : 82 ] . وقوله تعالى : ( يا أيها الناس قد جاءكم

موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ) [ يونس : 57 ]

والدليل على أن المراد بقوله تعالى : ( فيه شفاء للناس ) هو العسل - الحديث الذي رواه

البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة ، عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي ،  
عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال : " اسقه عسلا " . فسقاه عسلا ثم جاء  
فقال : يا رسول الله ، سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا ، قال : " اذهب فاسقه عسلا " .  
فذهب فسقاه ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ، ما زاده إلا استطلاقا ، فقال رسول الله -  
صلى الله عليه وسلم - : " صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا " . فذهب  
فسقاه فبرئ . قال بعض العلماء بالطب : كان هذا الرجل عنده فضلات ، فلما سقاه عسلا  
وهو حار تحللت ، فأسرعت في الاندفاع ، فزاد إسهاله ، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره  
وهو مصلحة لأخيه ، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ، ثم سقاه فكذلك ، فلما اندفعت  
الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه ، وصلاح مزاجه ، واندفعت الأسقام  
والآلام ببركة إشارته - عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام - . وفي الصحيحين من حديث  
هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - كان يعجبه الحلواء والعسل . هذا لفظ البخاري . وفي صحيح البخاري : من

حديث سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - : " الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ،  
وأنها أمتي عن الكي " . وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ،  
عن عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - يقول : " إن كان في شيء من أدويتكم ، أو يكون في شيء من أدويتكم  
خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لدعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي  
" . ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر به . وقال الإمام أحمد :  
حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد الله بن  
الوليد ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - : " ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب  
ألما ، وأنا أكره الكي ولا أحبه " . ورواه الطبراني عن هارون بن ملول المصري ، عن أبي  
عبد الرحمن المقرئ ، [ عن حيوة بن شريح ] عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه : " إن  
كان في شيء شفاء : فشرطة محجم " . . . . وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال

الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه : حدثنا علي بن سلمة - هو  
اللبقي - حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن  
عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عليكم  
بالشفاءين : العسل والقرآن " . وهذا إسناد جيد ، تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعا . وقد رواه  
ابن جرير ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان - هو الثوري - به موقوفا : ولهو  
أشبهه . وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال : إذا أراد  
أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة ، وليغسلها بماء السماء ، وليأخذ من  
امراته درهما عن طيب نفس منها ، فليشتر به عسلا فليشربه بذلك ، فإنه شفاء . أي : من  
وجوه ، قال الله : ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ) [ الإسراء : 82 ] وقال : ( ونزلنا من  
السماء ماء مباركا ) [ ق : 9 ] وقال : ( فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا  
مريئا ) [ النساء : 4 ] وقال في العسل : ( فيه شفاء للناس ) وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا  
محمود بن خدّاش ، حدثنا سعيد بن زكريا القرشي ، حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي ، عن  
عبد الحميد بن سالم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من

لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء " .الزبير بن سعيد متروك  
وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي ، حدثنا عمرو  
بن بكر السكسكي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة . سمعت أبا أي بن أم حرام - وكان قد  
صلى القبلتين - يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " عليكم بالسنن  
والسنن ، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام " . قيل : يا رسول الله ، وما السام ؟  
قال : " الموت " . قال عمرو : قال ابن أبي عبلة : " السنن " : الشبت . وقال آخرون : بل  
هو العسل الذي [ يكون ] في زقاق السمن ، وهو قول الشاعر :هم السمن بالسنن لا ألس  
فيهم وهم يمنعون الجار أن يقردا كذا رواه ابن ماجه . وقوله : " لا ألس فيهم " أي : لا  
خلط . وقوله : " يمنعون الجار أن يقردا " [ أي يضطهد ويظلم ] . وقوله : ( إن في ذلك  
لآية لقوم يتفكرون ) أي : إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في  
هذه المهامة والاجتناء من سائر الثمار ، ثم جمعها للشمع والعسل ، وهو من أطيب  
الأشياء ، ( لآية لقوم يتفكرون ) في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها ، فيستدلون  
بذلك على أنه [ الفاعل ] القادر ، الحكيم العليم ، الكريم الرحيم .